فيه اليه كما قال تعالى إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال الرماني وجوه
اعجاز القرآن تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفة
والبلاغة والاخبار عن الامور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجزة قال ونقض العادة هو ان العادة
كانت جارية بضروب من انواع الكلام المعروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها
المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث فاتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق
به كل طريقة وتفوق الموزون الذي هو احسن الكلام قال واما قياسه بكل معجزة فانه يظهر اعجازه من هذه الجهة
اذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلا واحدا في الاعجاز اذ خرج عن العادة فقعد
الخلق فيه عن المعارضة وقال القاضي عياض في الشفا اعلم ان القرآن منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من
جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة
عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وارباب هذا الشان والثاني صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب
كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع اياته وانتهت اليه فواصل كلماته ولم يوجد
قبله ولا بعده نظير له قال وكل واحد من هذين النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته
نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها
خلافا لمن زعم ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب الوجه الثالث ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن
فوجد كما ورد الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة
الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه
ويأتي به على نصه وهو امي لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ومن الوجوه في اعجازه
غير ذلك آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا فما تمناه احد منهم وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث ومنها الروعة
التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التي تعتري تاليه عند تلاوته وقد اسلم جماعة عند سماع آيات منه
كما وقع لجبير بن مطعم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء
أم هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير قال وذلك اول ما وقر الاسلام في قلبي وقد مات جماعة عند سماع
آيات منه افردوا بالتصنيف ثم قال ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه
ومنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام
يعادى اذا اعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ومنها جمعه لعلوم
ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا احاط بعلمها احد في كلمات قليلة واحرف معدودة قال وهذا الوجه داخل في باب
بلاغته فلا يجب ان يعد فنا مفردا في اعجازه قال والاوجه التي قبل تعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز
الوجوه الاربعة الاول فليعتمد عليها انتهى تنبيهات الاول اختلف في قدر المعجز من القرآن فذهب بعض
المعتزلة الى انه يتعلق بجميع القرآن والآيتان السابقتان ترده وقال القاضي ابو بكر يتعلق الاعجاز بسورة طويلة كانت
او قصيرة تشبثا بظاهر قوله بسورة وقال في موضع آخر يتعلق بسورة او قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى
البلاغة قال فاذا كانت آية بقدر حروف سورة وان كانت كسورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم

عن المعارضة

عن المعارضة في اقل من هذا القدر وقال قوم لا يحصل الاعجاز بآية بل يشترط الآيات الكثيرة وقال آخرون يتعلق بقليل
القرآن وكثيره لقوله فليأتوا بحديث مثله قال القاضي ولا دلالة في الآية لان الحديث التام لا تتحصل حكايته في اقل
من كلمات سورة قصيرة الثاني اختلف في انه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة قال القاضي فذهب ابو الحسن الاشعري الى ان
ظهوره على النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم بالاستدلال قال والذي نقوله ان الاعجمي لا يمكنه
ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من ليس ببليغ فاما البليغ الذي احاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فانه يعلم
من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الاتيان بمثله الثالث اختلف في تفاوت القرآن في مراتب الفصاحة بعد
اتفاقهم على انه في اعلا مراتب البلاغة بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو اشد تناسبا ولا اعتدالا في افادة ذلك
المعنى منه فاختار القاضي المنع وان كل كلمة فيه موصوفة بالرتبة العليا وان كان بعض الناس احسن احساسا
له من بعض واختار ابو نصر القشيري وغيره التفاوت فقال لا ندعي ان كل ما في القرآن على ارفع الدرجات في الفصاحة
وكذا قال غيره في القرآن الافصح والفصيح والى هذا نحى الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ثم اورد سؤالا وهو
انه لم لم يات القرآن جميعه بالافصح واجاب عنه الصدر موهوب الجزري بما حاصله انه لو جاء القرآن على ذلك لكان
على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الافصح والفصيح فلا تتم الحجة في الاعجاز فجاء على نمط كلامهم
المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا اتيتنا بما لا قدرة لنا على جنسه كما لا يصح من البصير ان يقول
للاعمى قد غلبتك بنظري لانه يقول له انما تتم لك الغلبة لو كنت قادرا على النظر وكان نظرك اقوى من نظري
فاما اذا فقد اصل النظر فكيف تصح مني المعارضة الرابع قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان الموزون
من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل بتصور
الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق واثبات الصدق ولهذا نزه الله
نبيه عنه ولاجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب البرهان القياسات المؤدية في اكثر الامر الى البطلان والكذب
شعرية وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا في شعره واما ما وجد في القرآن مما صورته صورة الموزون
فالجواب عنه ان ذلك لا يسمى شعرا لان من شرطه القصد ولو كان شعرا لكان كل من اتفق له في كلامه شيء
موزون شاعرا فكان الناس كلهم شعراء لانه قل ان يخلو كلام احد عن ذلك وقد ورد ذلك على الفصحاء فلو اعتقدوه
شعرا لبادروا الى معارضته والطعن عليه لانهم كانوا احرص شيء على ذلك وانما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى
في الانسجام وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرا واقل الشعر بيتان فصاعدا وقيل الرجز لا يسمى
شعرا اصلا وقيل اقل ما يكون من الرجز شعرا اربعة ابيات وليس ذلك في القرآن بحال الخامس قال بعضهم التحدي انما
وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من اهل اللسان العربي الذي جاء القرآن على اساليبه وانما ذكروا في قوله
تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن تعظيما لاعجازه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض
اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد اعجز وقال غيره بل وقع للجن
ايضا والملائكة منويون في الآية لانهم لا يقدرون ايضا على الاتيان بمثل القرآن وقال الكرماني في غرائب التفسير
انما اقتصر في الآية على ذكر الانس والجن لانه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الثقلين دون الملائكة السادس
سئل الغزالي عن معنى قوله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فاجاب الاختلاف لفظ
مشترك بين معان وليس المراد نفي اختلاف الناس فيه بل نفي الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا الكلام مختلف

Copyright © King Saud University